

## دلائل الإعجاز

والثاني : أن يكونَ المعطوفُ شيئاً لا يكونُ حتى يكونَ المعطوفُ عليه . ويكونَ الشرطُ لذلك سبباً فيه بوساطةِ كونهِ سبباً لأوَّسَل ومثاله قولك : إذا رجَعَ الأميرُ إلى الدار استأذنتهُ وخرجتُ فالخروجُ لا يكونُ حتى يكونَ الاستئذانُ وقد صارَ الرجوعُ سبباً في الخروجِ من أجلِ كونهِ سبباً في الاستئذانِ . فيكونُ المعنى في مثلِ هذا على كلامين نحوُ : إذا رجَعَ الأميرُ استأذنتُ وإذا استأذنتِ خرجتُ .

وإِذْ قد عرفتُ ذلك فإنَّه لو عطفَ قولُه تعالى : ( اِنَّهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ بِرَبِّهِمْ ) على " قالوا " كما زعمتَ كان الذي يتوصَّرُ فيه أن يكونَ من هذا الضربِ الثاني وأن يكونَ المعنى ( وإذا خَلَّوْا إلى شياطينهم قالوا إنَّنا معكم إنما نحن مستهزئون ) . فإذا قالوا ذلك استهزأوا بهم ومدَّهم في طُغْيَانِهِمْ يَعْزَمُون . وهذا وإن كان يُرَى أنه يَسْتَتَقِيمُ فليس هو بمستقيمٍ وذلك أنَّ الجزاءَ إنَّما هو على زَفَسِ الاستهزاءِ وفِعْلِهِمْ له وإرادتهم إيَّاه في قولهم إنَّنا آمنَّا لا على أنَّهم قد تَوَّأوا عَنْ أَنفُسِهِمْ بأنَّهم مستهزئون والعطفُ على " قالوا " يَقْتَضِي أَنَّ يكونَ الجزاءُ على حديثهم عَنْ أَنفُسِهِمْ بالاستهزاءِ لا عليه نفسه . ويبيِّنُ ما ذكرناه مِنْ أَنَّ الجزاءَ يَنْبَغِي أَنْ يكونَ على قَصْدِهِم الاستهزاءِ وفِعْلِهِمْ له لا على حديثهم عن أَنفُسِهِمْ بِأَنَّهم مستهزئون إنَّهم لو كانوا قالوا لكُبرائهم : ( إنَّنا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ) : وهُمْ يريدونَ بذلكَ دَفْعَهُمْ عَنْ أَنفُسِهِمْ بهذا الكلامِ وأن يَسْلَمُوا من شَرِّهِمْ وأن يوهموهُم أنَّهم مِنْهُمْ وإنَّهم لم يكونوا كذلكَ لكان لا يكونُ عليهم مؤاخذهٌ فيما قالوه من حَيْثُ كانت المؤاخذهُ تكونُ على اعتقادِ الاستهزاءِ والخديعةِ في إظهارِ الإيمانِ لا في القولِ : إنَّنا استهزأنا من غيرِ أن يقترنَ بذلكَ القولِ اعتقادٌ ونيَّةٌ .

هَذَا وَهَاهُنَا أمرٌ سَوَى ما مضَى يوجبُ الاستئفافَ وتركَ العطفِ وهو أنَّ الحكايةَ عنهم بأنهم قالوا : كَيْتَ وَكَيْتَ تحرَّكُ السامعينَ لأن يعلموا مصيرَ أمرِهِمْ وما يُصْنَعُ بِهِمْ وَأَتَنْزِلُ بِهِمْ النِّقْمَةُ عاجلاً أم لا تنزلُ ويُمَهِّلُونَ وتُوقِعُ في أَنفُسِهِم التَّمَنِّيَّ لأنَّه يتبيَّنُ لهم ذلكُ . وإِذَا كان كذلكَ كانَ هذا الكلامُ الذي هو قولُه : ( اِنَّهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ بِرَبِّهِمْ ) في معنى ما صدرَ جواباً عن هذا المقدَّرِ وقوعُه في أَنفُسِ السامعينَ . وإذا كان مصدرُه كذلكَ كانَ حَقُّهُ أن يؤتَى به مبتدأ غيرَ معطوف لِيكونَ في صورتهِ إذا قيل : فإنَّ سألتم قيلَ لكم : ( اِنَّهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ بِرَبِّهِمْ ) في طُغْيَانِهِمْ يَعْزَمُونَ ) .

وإذا استقرتَ وجدتَ هذا الذي ذكرتُ لك من تنزيلهم الكلامَ إذا جاء بعقبِ ما

يقتضي